المبحث السابع عشر

فائدة اللبن الطبيعى

« إنتشرت فى منتصف القرن العشرين موضة الاستغناء عن اللبن الطبيعى والاتجاه لاستخدام اللبن الصناعى، وبعد خمسين عاماً تظهر الأبحاث والدراسات العلمية خطأ ذلك، وتوصى بضرورة العودة لاستخدام اللبن الطبيعى، وكأنها توصى بتأمل ما فى القرآن من معانى عن الرضاعة ».

د: مصطفى بتير

باحث أمريكى فى الأعجاز العلمى للقرآن والسنة

بعد أكتمال مراحل التكوين الجنينى والنمو يكون الجنين مستعداً للخروج من مكان الاستقرار الذى كان مهيئاً له «الرحم» ، حيث تحدث انقباضات عضلية قوية بعضلات الرحم تؤدى إلى أجبار الجنين إلى الخروج.

يعتمد الجنين فى تغذيته وهو فى الرحم على ما عند أمه من الغذاء من خلال المشيمة، ويخرج فضلاته من نفس الممر المشيمى، وبعد خروجه من الرحم يعتمد على لبن أمه المفرز من الغدد الثديية تحت توجيه هرمونى قوى من الهرمونات الجنسية الأنثوية.

يحتوى لبن الأم على العديد من العناصر الغذائية الضرورية للنمو والفيتامينات، كما يحتوى على نسبة عالية من الدهون وبعض المواد الغذائية الأخرى، ومن ثمَّ يمكننا القول بأن لبن الأم يمثل غذاءً كاملاً يحتوى على معظم المواد الغذائية التى يحتاجها جسم الإنسان «الكائن الحىَّ»، بما يجعل من قيمته الحيوية مرتفعة جداً لمختلف الأنسجة والخلايا الحيَّة.

لقد حاولت العديد من المراكز البحثية إجراء عملية مضاهاة لصناعة اللبن الحيوية والتى تتم من خلال العديد من التفاعلات الكيموحيوية داخل الغدد اللبنية بالكائنات الثديية، وتحت إشراف كامل من الطاقم الوراثى للكائن الحى، وكانت عملية المضاهاة تهدف إلى إنتاج لبن صناعى بنفس المكونات الكيميائية للبن الطبيعى، وقد تم إنتاج اللبن الصناعى وأصبح متداولاً فى السوق، لكن التجارب أثبتت عدم وجود مضاهاة وظيفية بين اللبن الطبيعى واللبن الصناعى، بمعنى أنَّ اللبن الصناعى لم ينجح فى القيام بدور ووظيفة اللبن الطبيعى فى أنسجة وخلايا الكائن الحى.

إنَّ بعضاً من التجارب التى أجريت لفهم الجانب الوظيفى للبن الصناعى قد أشارت إلى احتمالية احتواء اللبن الصناعى على قليل من الجزيئات غير السليمة حيوياً، ومن ثمَّ فقد تصيب بعض الخلايا بأضرار غير متوقعة.

لقد جعلت نتائج هذه التجارب العديد من المراكز البحثية تنادى بالعودة إلى اللبن الطبيعى حفاظاً على صحة الأطفال، وانقاذاً للأجيال البشرية من تراكم العديد من

الجزيئات الخطرة حيوياً، بما يؤدى إلى حدوث العديد من عمليات الاختلال الوظيفى داخل الكائن الحى وكان من نتائج العودة مرةً أخرى إلى المناداة والحث على استخدام اللبن الطبيعى وجود اهتمام بحثى لمعرفة الفترة الزمنية المثلى الضرورية لارضاع الطفل والمعروفة بفترة «الرضاع المثلى»، ففى إحدى التجارب التى أجريت فى كندا، تم أختيار مائه وخمسون طفلاً رضيعاً، ووضعهم مع أمهاتهم تحت أشراف طبى كامل، وذلك بهدف «قياس فترة الرضاع المثلى»، وربط هذه الفترة بمعدّل النمو وسير العمليات الحيوية داخل جسم الطفل.

وقد أوضعت نتائج هذه التجربة وجود معدَّل نمو سوّى «مثالى» فى خلال فترة الرضاعة التى استمرت عامين كاملين أو أقل قليلاً، وكذلك معدّل حدوث التفاعلات الحيوية.

وللوصول التى نتائج دقيقة لفترة الرضاع المثلى تم اختيار عينة من الأطفال الذين تم خفض فترة الرضاعة لهم، وقد اتضح من التجربة حدوث نقص فى معدَّل النمو واختلاف فى سير العمليات الحيوية المتوقعة، كما تم اختيار عينة أخرى، تم فيها رفع فترة الرضاعة، وقد اتضح من نتائج ذلك حدوث اختلال فى العمليات الحيوية، وحدوث تراكم لبعض المواد فى الخلية، بما يفوق قدرتها على تمثيل هذه المواد والتخلص من نفاياتها، وتجدر الاشارة فى هذه التجربة إلى أنَّ العينة التى تم رفع فترة رضاعتها، كانت عملية الرضاعة تسير بنفس المعدَّل الطبيعى لعدد مراتها، وكمية اللبن فى كل مرة.

يمكننا استخلاص نتيجة نهائية من تلك الأبحاث مفادها أنَّ الرضاعة الطبيعية أساسية لنمو الطفل بشكل طبيعى، وأن فترة الرضاع الطبيعية المثلى عامين أو أقل قليلاً، كما لايمكن أحداث تسارع فى فترة الرضاع، لوجود برنامج محدد لنمو الخلايا يحكمه الطاقم الوراثى، ومن ثم لايمكن اختصار فترة الرضاع أوتقليلها.

وبتأملنا فى القرآن سنجد أنّه أشار إلى ذلك، فى قوله الله تعالى فى الآية ١٤ من سورة لقمان.

﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾.

والتعبير بقوله تعالى ﴿فى عامين﴾ يفيد الجزئية بمعنى أنَّ عملية الفصال (منع الطفل من استمرار الرضاعة» تتم فى خلال عامين، وليست مدتها عامين فقط، بل قد تكون فى عامين، أو أقل من ذلك قليلاً، ومن ثم فهذه الآية توضح ضرورة عملية الرضاع الطبيعية، وتحدد الفترة المثلى لها، وهذا ما يؤكد (كما أثبت العلم بأدواته الحديثة) ضرورة الالتزام بهذه الفترة، حتى ينشأ طفلاً سليماً نافعاً لمجتمعه، ومؤدياً لرسالته فى الحياة.